السماع بالاصابع

عرف الآن أن الاصابع قد تنوب عند ذوى الصمم مناب الآذان وحسبنا أن نذكر أن هيلين كيلر التى ولدت فى عام ١٨٨٠ والتوفى سن الثانية نزلت بها حمى خبيثة ذهبت بسمعها وبصرها وعقلت لسانها عن الكلام ، أصبحت اليوم تجيد أربع لغات حية ، وهى كاتبة لها شهرتها الواسعة فى العالم كله ، وتتردد على دور الملاعب والسينما كأى انسان ذى سمع : هذا الى أن جامعتى رادكليف وهارفارد قد منحتها اجازة الدكتوراه ولقد عرفت هذه السيدة بالصبر والتجلد فكأنها لم تفقد شيئاً

ولقد ساقت الاقدار - وهى كالبحر يروى ويغرق وكالنار تدفىء وتحرق - لهذه السيدة فى إبان طفولتها امرأة ليست من أهلها كفلتها وعلمتها فى صبر ومثابرة وحلم هو ضرب الامثال أن تمس الاشياء وتسميها بأن تحرك يدها على معانيها فى أبجدية خاصة ذات أحرف بارزة وتقدمت الطفلة ودرست المنهج كله ونشأت عن هذا شيئا فشيئا حاسة سادسة وهى أن تسمع بأصابعها بدل أذنيها بفضل الاهتزازات الصوتية وليس فى استطاعة الذى يسمع ويتكلم ان يقدر هذا وإنما يقدره المحرومون وحدهم

وتعلمت هيلين اللاتينية واليونانية والفرنسية والالمانيـــة ونبغت فى الرياضات العليا نبوغا يستحيل على إنسان فى ظروفها ان يبلغ معشار عشره

ومنذ يومئذ وقفت حياتها على خدمة أولئك الذين ذاقوا ماذاقت من

حرمان فقد كتبت كتبا وألقت محاضرات على العميان والخرس واستطاعت أن تجمع أموالا كبيرة لمساعدة هؤلاء المحرومين

وحار الأطباء فى قدرة هذه المرأة على السمع والكلام على الرغم من أنها صماء خرساء وقد فحصها أحد مشاهير الأطباء وهو الدكتور « جيمس كيرلوف » فصرح بأنها قد وصلت إلى هذه الميزة العجيبة عن طريق الالهام

وتقول هذه المرأة عن نفسها :

« إن التجارب علمتنى أشياء كثيرة حتى اننى أعرف الناس من وقع أقدامهم ومن اهتزازهم إن كانوا جالسين وأسمع المغنى اذا لمست جسمه ، ولكم سمعت قطعا موسيقية وأغانى كثيرة من الراديو بوضع أصابعى على الجهاز . ووضعت يدى مرة على « كمان » عازف بينما كان يوقع لحن « شوبرت » الخالد (فى ضوء القمر) فلم يفتنى منه شىء !

وجوه تفصح عن الحقيقة وأخرى كاذبة

وضع الدكتور لامبروزو قواعد لتمييز طوائف المجرمين عن غيرهم بقبح المنظر أو بتشويه الوجه ، وكثيرا ما يكون الوجه مرآة الضمير وان الانسان يقرأ فى الوجوه وفى العيون ما تضمره السرائر من خير أو شر ومن وفاء أو غدر . ويقول فيكتور هوجو فى رواية « الأحدب » أنه بصورته المشوهة أو لمنظره البغيض صاحت أن يطله مثل أعلى للروح الانسانى السامى أى أن هناك وجوها قبيحة تفيض بالخير على حين أن هناك وجوها جميلة تفيض بالشر والاثم فلقد خدع نساء باريس بمنظر الطبيب لاندرو الجميل

كما خدع نساء لندن بجمال الطيار نيفيل جورج هلث وكان نصيب بعضهن الموت الذريع . ومنذ أعوام كان فى طنطا واعظ فى مسجد المنشاوى اسمه محمود علام إذا نظر اليه الناس خيل اليهم أن النور يفج من جبينه وأن وجهه صفاء وطهرا

وكان اذا خطب الناس بكى وأبكى ثم مالبث أن حكم عليه بالموت شنقا لأنه كان يستدرج المخدوعين فيه من الوجهاء والأعيان الى بيت يذبحون فيه لتشوى لحومهم فى أوان كأنها لحوم خراف أو لحوم بقر !

عجائب الولادة والتوائم

حين وضعت مسز مارى جونس - وهى فى منتصف العقد الثامن من عمرها - مولودها التاسع والعشرين - لم يصدق طبيبها أنها فى هذه السن بل ظنها بين الأربعين والخمسين على أكثر تقدير

ولكى تؤكد لطبيبها - وهى شجاعة منها فقلما توجد المرأة التى تشهد على نفسها بأنها عجوز فى الغابرين - صحة قولها وتبدد شكوكه أطلعته على نسخة قديمة من الانجيل وعلى أولى صفحاتها هذه العبارة « مارى ماتلدا ووكر المولودة فى يوم ٥ ابريل سنة ١٨٧١ »

ولما كان الدكتور لايزال عند شكه وارتيابه قالت له الشابة العجوز : « ان أمى أيضا ولدتنى وهى فى مثل سنى »

ولهذه المرأة من زوجها الثانى واحد وعشرون ولدا على قيد الحياة غير الذين توفاهم الله وبين الأحياء منهم ستة توائم ولله فى خلقه شئون

شخصيتك فى مخدع نومك

كيف يكون سلوكك فى مخدع النوم ؟ . هذا هو موضوع الكتاب الذى ألفه الدكتور والف هويتون وآن باليول فالحياة مليئة بالتجارب والمغامرات الغريبة ، ولكن لاشك أن أغربها هو أن يجد الانسان نفسه فى حجرة نوم مغلقة مع شخص من الجنس الآخر ، وأن يكون ملزما بأن يذهب الى المخدع ويقوم منه آلاف المرات . وهذا هو مايسمونه « الزواج » . فكيف يكون سلوك الانسان فى حجرة النوم ؟ .

يكفى لبيان أهمية ذلك أن الاحصاءات قد دلت على أن الانسان الذى يعيش ٧٠ عاما يقضى فى خلع ملابسه وارتدائها مايعادل عمل ثمانى ساعات يومياً لمدة تسع سنوات . ومع ذلك ، فان معظم الناس لاينظرون الى خلع الملابس على أنه فن ، وهذا خطأ كبير .

وأول مايجب مراعاته هو تجنب ايجاد كمية مختلطة من الملابس ملقاة على أرض غرفة النوم . وقد ثبت أن كثيراً من النساء يملن الى هذه العادة . كذلك ثبت أن معظم الرجال لايجيدون خلع ملابسهم ، وان عددا كبيرا منهم يقضون السنين وهم يخلعون ملابسهم ثم يلقونها على المقاعد الموضوعة فى حجرة النوم ، ناسين أن هذه المقاعد لايجب استعمالها الا للجلوس فقط . لهذا يجب أن يتحاشى الانسان ترك ملابسه على هذه الصورة وكثيرا ما كان هذا المنظر المزرى سببا فى الطلاق .

أما المخدع فيكفى لبيان أهميته لنا ان الانسان يولد فيه ويموت فيه بل ان الانسان يقضى ثلث حياته تماما فيه

وأول قاعدة تجب مراعاتها هى أن ترتدى ملابس ملائمة للسرير أولا تلبس شيئاً على الاطلاق كان أجدادنا لايذهبون الى مخادعهم الا بملابسهم كاملة اما الآن فاننا نستعمل قمصان النوم او البيجامات وللنساء ان يخترن بين هذين . اما الرجال فانهم يلبسون البيجامات دائما

ومن الشائع بين اوساط الناس الذهاب الى السرير بالملابس الداخلية ولكن الرجل الذى يفعل ذلك رجل غير مهذب فان هذا المنظر يصدم كل فتاة رقيقة منذ أول ليلة لزواجها ومن الخطأ أن يلبس الشخص شيئا يضايق شريكته فى الفراش

وهنا يجب أن نعرض بضعة أسئلة والجواب عليها :

س : من الذى يذهب الى المخدع أولا الزوج أو الزوجة ؟

ج : الزوجة التى تسبق زوجها فى الذهاب الى المخدع تترك له عبء إغلاق النافذة واسدال الستائر وما الى ذلك . فان كانت الزوجة لبقة فانها تستطيع أن تظفر بهذا السبق فى كل ليلة

س : من الذى يقوم اذا سمعا صوتا يشبه صوت لص ؟

ج : لا أحد !

س : ماذا يفعل الزوج اذا قالت له الزوجة انها تشك فى وجود حريق فى المنزل ؟ (١)

(١) الفصول

ج : انه يظل يجادلها فى ذلك حتى يطلع الصبح والرجل العادى يتزوج غالباً من فتاة جميلة من خريجات المدارس ، فماذا يحدث له ؟ . انه يجد نفسه أخيراً مع الفتاة التى اختارها . وبينما هو فى أحسن حالاته ، وفى قمة سعادته تدخل عليه فتاته وهى قادمة من الحمام ، واذا بها قد غطت رأسها بشبكة كبيرة مربوطة بأشرطة لامعة ، وقد شدت شعرها بقوة حتى أن عيونها تبدو مشدودة الى أعلى كأن بها حول . والصدمة التى تصيب الرجل فى هذه اللحظة قد تذهب به الى البيمارستان بقية حياته . ولكنه حين يذهب أثر الصدمة يدرك أن هذا هو المنظر الذى سيطالعه فى كل ليلة .

واذا كان للذهاب الى الخدع مشكلات ، فكذلك القيام منه ، فيجب أن تنظر الى زوجتك كأنها صديق صغير ناعم . فمن الخطأ أن تغالط معها فى المداعبة أو أن تحاول ضاحكا أن تجرها من الفراش جراً .

واذا كنت فى الخارج ، وخطر لك أن تقضى السهرة فى المدينة ، فانك ستعود الى المنزل بعد منتصف الليل ، فاذا دخلت الى المنزل هادئا ، فاياك أن تخدع ، اذ ترى زوجتك نائمة فى براءة فى مخدعها . انها لم تنم . انها مستيقظة تتصور منظرك وأنت سكران وملقى على قارعة الطريق . والتصرف السليم فى هذه اللحظة هو أن تتجنب حجرة النوم . اخلع ملابسك فى هدوء تام فى أى مكان آخر من المنزل ، فان حاولت أن تسير فى الظلام فستكون عرضة لأن تصطدم بأحد المقاعد فتسقط فى صوت مسموع .

وقد يحاول الانسان أن يخلع جوربه وهو واقف ، فيقف على قدم واحدة ويرفع الأخرى ليسحب منها الجورب وهنا يحدث كثيراً أن تهتز ركبته ، فان لم يسرع إلى خلع الجورب فقد يجد نفسه ملقى على الأرض

لذلك كان من الخير ان نجلس على حافة المخدع ثم نخلع جواربك فى هدء

قوام الانسان واثره فى شخصيته

لقوام الانسان من طول وقصر ، أثر فى تكييف شخصيته لدى نفسه وبين أفراد المجتمع . ذلك أن لون البشرة وتركيب أعضاء الجسم ، وخاصة البصر والسمع والحس والنطق - من قوائم الشكل الانسانى فى المجتمع

وهناك مقاييس فى كل بيئة لقوام الفرد العادى ، بحيث يعد مايخالفها شذوذا سواء من ناحية الضخامة أو شدة النحافة والعملاقية والقزمية

يقول « فرانك رفهيد » إن أدب كل أمة يفيض بقصص المغامرات المثيرة التى وقعت مع مخلوقات تقمصت صورة الآدميين وتشبهوا فى النطق والذكاء وان اختلفت عن الانسان العادى فى نسبة أحجامها البدنية غير المعقولة . ومن بواعث سرورنا نحن معشر الآدميين أن هذه المخلوقات الهائلة التى تناهز العشرين مترا فى طول القامة أو تلك الأقزام الخبيثة التى فى وسعها السفر فى جيب الانسان — من سرورنا أن هذه المخلوقات لا وجود لها إلا فى مخيلة القصصى . إذ ما أهول الحياة لو أخذت الأرض تهتز بغتة اهتزاز الزلزال تحت وقع أقدام مارد طوله عشرين مترا وكم تكون الصعوبة لو أن أقزاما من هذه المخلوقات العجيبة التى تمتاز بالدهاء وخفة الحركة وقوة الابتكار — أعلنت علينا الحرب

والعمالقة والأقزام من هذه الطراز لاينتمون الى عالمنا هذا ، وان كان هناك عدد من الناس قد أصابوا الشهرة والثراء لابحكم توقد ذكائهم أو قوتهم

الأخلاقية ، بل لأن الطبيعة رأت أن تنبذ قالبها العادى وتحبوهم بأجسام غير طبيعية تميزهم عن الغير وتسترعى اليهم الأنظار وهى شواذ لايستطيع العلم تداركها واصلاحها ومن حفظ هؤلاء الناس أن فضول الانسان وميله لمشاهدة ماهو شاذ قد در عليهم الرزق

ونحن ان تساءلنا لم فعلت الطبيعة هذا ، لعجزنا عن الرد وإن كنا نعلم سببه وهو يرجع إلى الغدد الصماء التى لاجرى لها والتى لازال العلم يجهل عنها الشيء الكثير . وهى غدد صغيرة غامضة لاتراها العين ، على أنها تستطيع الاتيان بكل ضروب العبث والشغب وخاصة ثلاث منها وهى الغدة الدرقية والغدة التيموسية والغدة النخامية والأخيرة هى أخطرها جميعا . وقد وصف طبيب هذه الغدد بأنها « مصانع صغيرة خاصة فى الجسم ، تنقل الى الدم هذه المواد الكيميائية التى تؤثر فى نمو الخلايا وسير تقدمها والتى تتألف بنيتنا من أحجارها الصغيرة » : وعلى مبلغ زيادة هذه الغدد أو نقصانها ولو بنسبة تافهة . يتوقف طول قامتنا أو قصرها ونحافة جسمنا أو سمنته و بديهى أنه اذا طرأ أى خلل حقيقى على هذه الغدد نجم عنه شذوذ جسمانى . ومن العسير جدا معالجة الغدد النخامية التى هى أهم الغدد الثلاث وخاصة بعملية جراحية لأنها مستحيلة نظرا لأن هذه الغدد تقع فى وسط قاعدة المخ

وإذا الممنا بكل هذه المعلومات وغيرها مما كان يبعث فينا روح الاندهاش والفزع والاهتمام. عرفنا أن الرجل العادى الذى لم يسبق له السفر والتغرب لا زال يستهويه قصص أقزام زنوج وسط أفريقيا ، وما يدعونهم بقبائل « المساخيط » . وقد درب الأقزام منذ أجيال للقيام بألعاب مضحكة وكانوا من دواعي التسلية فى بلاط ملوك أوروبا ، إذ أحسنت معاملتهم

وأنعم عليهم بالرتب والنياشين ، على أنهم كانوا فى الوقت نفسه يعاملون كمخلوقات غريبة طبيعية ، لا مخلوقات آدمية حقيقية مفرغة فى قالب غير طبيعى

وقد أراد شارل الأول ملك إنجلترا منذ ثلاثمائة سنة أن يرفه عن نفس زوجته الجميلة النابهة الملكة هنريتا ماري فأمر بصنع فيرة كبيرة وإحضارها إلى مائدتها ، فلما شقت قشرتها باحتراس ، برز منها قزم اسمه جفرى هدسون وهو غلام فى الثامنة طوله اثنتا عشرة بوصة . وهناك رفع قبعته الريشية محييا الملكة وانحنى فى احترام أمام جلالتها ، فصفقت له سرورا واعجابا واستبقته فى حاشيتها على صورة دائمة

وقد أخلص جفرى ووقف حياته ومواهبه كلها على تسليتها ، ومن ذلك أنه بارز دنديا فى طول قامته وهو فى الثلاثين من عمره وكان طوله اذ ذاك ثمانى عشرة بوصة كى يدخل السرور على قلب الملكة وتجاوز إخلاصه أكثر من هذا فقاتل بوصفه جنديا فى صف الملك أثناء الحرب الأهلية بل لقد قيل انه تولى قيادة فرقة من الخيالة فى نجاح باهر

وهناك قزم آخر انجليزى اسمه استراتون نال شهرة واسعة منذ مائة سنة وكان حجم جسمه عاديا عند ولادته ولكنه توقف عن النمو وهو فى الشهر الخامس من عمره وكان طوله اذ ذاك عشرين بوصة . وقد التحق هذا القزم بسرك (بارنوم) العظيم ، إذ أسعده التوفيق وسماه بارنوم (توم الاصبع) ، نسبة إلى قزم من أبطال القصص الانجليزية الخيالية . وعلى الرغم من ضآلته وقبح منظره ، فقد فاق أى رجل آخر فى عدد قبلاته للنساء ، ولانه كان يشترط تقبيل كل امرأة تريد مشاهدته ويقال إن مجموع

من قبلهن ناهز المليون امرأة

رجل يسمع بأنامله

تعد أبو حنيفة الضبع شاب فى الحادية والعشرين من عمره ، ويقال إنه من عائلة طيبة ، ولكن أباه مات منذ سنوات فتركه مشرداً ويؤكد الشاب أن أباه قد أرسله إلى أمريكا حيث ألحقه بمعهد للصم والبكم وكانت سنه إذ ذاك ١٢ سنة كما يروى أنه أجريت له عملية جراحية فى أماكن متعددة من رأسه ووجهه وبطنه واصابعه ، فنمت حاسة اللمس فى انامله ، واصبح إذا لمس حنجرة المتكلم « سمع » او « فهم » مايقال له فيرد عليه ! ولما قابله حضرة هلال عمر هلال مأمور قسم الازبكية وعرف منه قصته خاطب فى شأنه الأستاذ محمود اباظه مدير الملاجىء بوزارة الشؤون الاجتماعية ، فاهتم به ، وانزله ضيفا على المستشفى التابع للملاجىء .

ابتسامة المرأة

يقول الدكتور أمير بقطر : ان المرأة فى جميع تصرفاتها لغز العصور وطلسم الدهور فاذا كان الرجل حقيقة صندوقا مقفلا فان المرأة خزانة حديدية ربطت جوانبها بأسلاك فولاذية شائكة لايستطاع فكها الا بيدها

ويتجلى لغز المرأة الابدى فى النقيضين : الحزن والفرح البكاء والضحك فسواء للناظر اليها « ابكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها الميساد »

وسواء ترقرقت فى عين الحسناء دمعة حارة أو جالت فى فمها ابتسامة حيرى يقف الرجل بفطرته وسذاجته أمام المرأة ملجم اللسان ، مختلط الوجدان ، لا يدرى ماوراء الدمعة من مأرب ؛ وماتخفيه الابتسامة من مشاعر

اذا ابتسمت المرأة فانها تحمل وراء ابتسامتها سلسلة طويلة من اختباراتها الماضية الموروثة ، أما عن جدة ؛ مدى العصور البائدة ، واذا ما بكت فانها تخفى خلف دموعها أرق العواطف وأحلاها وأشدها عنفا وأمرها مذاقا

اذا ابتسمت المرأة وأشرقت ديباجتها ، وأخرجت فى الخفاء سيفا من غمده مسلولا ، تغزو به الرجل متى شاءت واذا ما بكت وتألق الدمع فى مآقيها ، نصبت له فخا توقعه فيه متى شاءت

ابتسامة المرأة مزيج عجيب من شتى العواطف ـ حب خالص ، حزن عميق ، سرور دفين ، أمومة ، كراهية ـ فهى سنجابية اللون تميل طورا للسواد وتجنح طورا للبياض بيد أنها تكون أحيانا ذات لون نقى محدود :

ابتسامة المرأة . كم ثلمت من عروش وهدمت من قصور وفرطت من عقود الصداقة وثلمت من أواصر القرابة ! كم شتتت من اسر وجمعت من شمل وفككت من اسر ! كم أردت الى المذلة والبؤس وازالت من عالم السعادة والانس !

ابتسمت كليوباترا ففتنت قيصر روما واودت بحياة انطونوس وهزت اكبر امبراطورية عرفها التاريخ وماتت قتلا بيدها

ابتسمت امرأة جميلة للنبي داود ، تغتسل فوق سطح منزلها ، فوقع في غرامها ، وقتل زوجها وقضى منها وطره ثم كتب متألما يقول : « تعبت من تنهدي ، أعوم في كل ليلة سريري بدموعي ، أذوب في فراشي. أخطأت والشر قدام عينيك صنعت . طهرني بالزرقاء فأطهر . اغسلني فأبيض أكثر من الثلج »

ابتسمت ألف امرأة لسليمان الحكيم في شبابه ، فاستسلم لهن جميعا برغم نبوته وكتب سفره الخالد ، نشيد الانشاد أجمل ما كتب الشعراء في الغرام . ولما بلغ من العمر عتيا استيقظ من سباته العميق ، وكتب سفره الابدي البديع ـ الجامعة ـ الذي يدور محور موضوعه على القول المأثور : « باطل الأباطيل ، الكل باطل وقبض الريح »

ابتسمت دليلة لشمشون الجبار ، داهية عصره ، فخر لها ساجدا ، ودب في عينيه النعاس على ركبتيها ، فجذت شعر رأسه ، وامتأصلت مصادر قوته ، ومات تحت الأنقاض وهو يقوض عمد الدار بساعديه الفولاذيتين ، قائلا : « على وعلى أعدائي »

ابتسمت آن بولين لهنري الثامن ملك انجلترا فثار على التقاليد في وجه البابا والكنيسة والدولة وقلب للشعب ظهر المجن ، وفصل الدين عن الدولة وهو يقول : « ابتسامة الحسناء أصدق أنباء من الكتب »

ابتسمت موناليزا لليوناردو دي فينشي وهو يرسم صورتها الخالدة

التي يفخر بها اللوفر اليوم والتي امتدت اليها أيدى اللصوص مرات ؛ فوقفت ريشته عن المسير وجمد الزيت فى أنابيبه وأبت عيناه التحول عن « الموديل » فجلست أمامه ثلاث سنوات كاملة ، قبل أن تنقل تلك الابتسامة الساحرة من الأصل الى الخيال ، ولو لم تكن السيدة متزوجة لظل المصور أمامها سنوات

ابتسمت « ماري ملكة السكوتلنديين » ففتنت القواد والعظماء ورجال الحاشية ، فدب الحسد والانقسام لاجلها بين رجال القصر ، وسجل التاريخ للاسرة المالكة وصمة عار لم يعرف مثلها التاريخ من عهد كليوباترا وتنسمت أخيرا تلك الملكة الشابة الحسناء ، النسمة الأخيرة من حياتها بين النطع وفأس الجلاد

ابتسمت جوزفين يوم ميلاد ابن نابليون من زوجته الثانية ، وصاحبة النواقيس فى الكنائس تقرع أذنيها ، فكانت ابتسامتها مزيجا عجيبا من شتى العواطف — حب زوجي نبيل ، ذكريات شهوة مكبوتة وحرمان قاس من أمومة طالما كانت تتمناها ، عز ذاهب ، سعادة ولت وانقضت

ابتسمت حسناء نابليون كانت تدس له مسدسا بين ثديها فأطفأت فى صدره نار الانتقام واكتفى بقوله لها : « . . لقد أردت الفتك بالامبراطور فأخفيت سلاحك فى مكان أحسده عليه فمغفرة لك أيتها الفتاة الجميلة . . »

ابتسمت مدام ركامييه فى عصر كان العالم بأسره يعبد باريس فقام عظماء باريس وشجعانها عن بكرة أبيهم يعبدونها ويطارحونها الغرام

ابتسمت سارة برنار فى « غادة الكاميليا » وابتسمت أنا بفلوفا فى رقصة الاوزة . وابتسمت جريتا جاربو على الشاشة البيضاء وابتسمت أخيرا نورما شيرر فى « روميو وجوليت » فذرفت دموع وذابت قلوب وسالت عواطف وأعجب ملوك وأمراء وانهالت رسائل وتكدست أزهار وورود وشهد العالم — حتى أشد المحافظين — على أن العبقرية جديرة بالاعجاب والمكافأة أينما وجدت . ثم ابتسمت أم كلثوم فى « وداد » و « نشيد الامل » وروايتها الأخرى فتطوع الكتاب من شيوخ المحافظين لتجويدها والتنويه بعبقريتها ، بعد أن ظلوا عشرات الاعوام يترفعون عن الاشارة الى ممثلة أو راقصة

وابتسمت مسز سمبسون فهزت العرش البريطانى وقامت لها الامبراطورية العظمى وقعدت واعترف بابتسامتها الساحرة أحدب نوتردام على ضفاف السين ورئيس أساقفة كنتربرى على ضفاف التيمس وغادر لأجلها أدوارد الثامن لندن عاصمة العالم ليلا فى ١١ ديسمبر منذ عشر أعوام (كما خرج الملك جيمس قبله أيضا فى ١١ ديسمبر) يحمل اسم دوق أوف وندسور وهو يردد لشبه هذه الرسالة التاريخية الخالدة : « صدقونى اذا قلت لكم اننى وجدت مستحيلا على أن أحمل عبء تبعاتى الثقيل وأن أقضى واجبات الملك . . كما أريد بغير مساعدة

المرأة التى أحبها . . »

اذا ابتسمت المرأه عكست كالشمس ألوان الطيف القزحية السبعة فهناك الابتسامة السنجابية وهى التى تخرج عن الابتسامات المحددة اللون وقد سبق الكلام عليها . هناك الابتسامة الصفراء — ابتسامة الغيرة — واللون الاصفر لون الغيرة والحسد والمكر والخديعة وهى التى تستعد اليها المرأة كلما اضطرم صدرها غيرة وتلظى كبدها حقدا وكلما استوقد الحسد ضلوعها فنظرت الى مزاحمتها بطرف سقيم وكلما سرى فى دمها داء الضرائر فأخفت باطنها بظاهر الابتسامة الصفراء

وهناك الابتسامة السوداء الكاذبة أو مايسميها علماء الاجتماع الابتسامة الاجتماعية وهى التى تذكر بها أنها زارت فاطمة أو داعبت سليما أو راودت يوسف أو خاطبت هجت بالتليفون او تنزهت مع أحمد فى سيارته أو اصطحبت عليا لمشاهدة الخيالة . والابتسامة السوداء أمضى ماتتسلح به المرأة من وسائل الدفاع عن نفسها ومن اشدها اثرا فى الرجل . فاذا هى كبت اصبحت بواسطتها من كبوتها بنجوة ، اذا عثرت وهفت انتفت عنها التهمة . والابتسامة السوداء كالدمعة واذا بدرت من المرأة سقطة لجأت اليها فقام الرجل بطيب خاطرها ويصبح المدعى مدعى عليه والمتهم (بفتح التاء) متهما (بكسرها) وكأنه تجنى عليها واشربها مالم تشرب . وانما هى غدور خائنة فاذا بها بعد الابتسامة — او الدمعة — وفية صادقة العهد واذا به يجزل لها الهبات بعد

الحرمان . هذه هى الابتسامة التى تتخذها المرأة سلاحا تركب به العار ولا تبالى بالغضاضة ، لأن بها تبدو صحيفتها ظاهرة ناصعة البياض كلما شاءت . ويقول أنصار المرأة من المسرفين فى التوسع فى معنى الحرية والمساواة بين الجنسين أن الاكذوبة الاجتماعية أكذوبة بيضاء وذلك لأن المجتمع لايؤاخذ الرجل على أسباب هذه الأكذوبة ، مؤاخذته للمرأة وقد يحكم عليها بالقتل ولا يدين الرجل أبدا . هذا من جهة أما الجهة الثانية ، فان هذه الأكذوبة الاجتماعية نتيجة لازمة لاستعباد المرأة طيلة القرون الماضية ولا حول لها على التحرر من القيود والاغلال التى قيدها بها الرجل الا بهذه الحيلة وذاك الدهاء وتلك الابتسامة السوداء . وأقرب الأكاذيب الاجتماعية الى الابتسامة السوداء هى أكاذيب السياسيين ورجال السلك السياسى ، وأرباب « الاتيكيت » لانها تحتمى وراء المبدا المعروف « الغاية تبرر الوسيلة »

وهناك الابتسامة الحمراء ، وهى الابتسامة المأجورة ، ابتسامة المومس ، وذارعة الأرصفة ، التى لاتهوى الرجل ولاترغب فيه لذاته وانما تهوى كيس نقوده ، وترغب فى البيع والشراء ، وتبادل السلعة بالسلعة . وهذه هى المرأة التى نبذها المجتمع ظلما وعدوانا فى كثير من الأحوال ، وعاد يعيرها ويشبهها لوما وتقريعا ، بعد أن هيأ لها الحفرة التى هوت فيها

وهناك الابتسامة الخضراء ، ابتسامة الامل والرجاء ، وهى التى ترجو فيها الام ان يكبر ولدها ويترعرع ، وتأمل فيها الزوجة أن يخلص لها الزوج ويكمل ، وتأمل فيها العذراء ان تتحقق أحلامها فى الحب والزواج . فى هذه الابتسامة يتجلى حديث أحلامها وأمانيها (١)

ولعل الابتسامة البنفسجية هى اجمل الابتسامات واكثرها روعة واشفاقا وادقها عاطفة هى التى يفتر فيها ثغر المرأة لطفلها اثر ولادته ، والتى منها يتعلم المولود الابتسام للمرة الأولى ، ويسمع بواسطتها اللحن الاول فى موسيقى الحياة ، وهى ايضا تلك الابتسامة الجميلة التى تأمل فيها الثكلى والارملة والعذراء العاشقة التى طوى سفر حبيبها ان ترى من فقدت فى عالم الخلود

عيون المرأة

يقول الأستاذ زكى طليمات : ماذا أقول فى عيون المرأة ، وقد أوذيت منها بقدر ماسعدت بها . ! فمنها عرفت الحياة ، وبسببها تبرمت بالحياة . ! وامامها شمخت ، وتعاليت ، ولأجلها تضاءلت وتهاويت . !

اول مايثب الى خيالى ، وأنا بصدد الحديث عن عيون المرأة هو هذا السؤال : « لماذا ركبت الطبيعة عيون المرأة فى وجهها ، ولم تركبهما

---

(١) الهلال

فى أعلا رأسها ، فلا نلمح وميض هذه العيون ، ولا تطالعنا نظراتها ، عند أول التقاء ؟»

حكمة خافية ولاشك ! حكمة قد نلمح طرفا من معناها اذا تعمقنا فى ادراك غريزة « بقاء النوع الانسانى » على وجه الأرض

عيون المرأة .! آه عيون المرأة .! انها أخطر الدلائل على كفايتها كمخلوقة ذات خطر . ومن هذه العيون تنطلق قذائف الفتنة ، وقنابل السحر والاغراء ، والغازات المدوخة والمسيلة للدموع وغيرها من اسباب الفتك والتدمير التى تبيحها الحرب المشروعة ، وغير المشروعة .

وما يصيب الرجل من عيون المرأة ليس له دواء ، ولاينفع فيه علاج ولا يطب له انبغ الاطباء . وعجبا للباحثين ، ينقبون عن دواء للسرطان ، ولا يوجهون اهتمامهم باسم الانسانية المعذبة نحو عيون المرأة ، بقصد اكتشاف ترياق ضد سهام هذه العيون .!

وتصويب سهام العيون من أجل اصابة الهدف لايتطلب كثيرا من الحذق والبراعة من جانب المرأة !

بل يكفى ان ترغب المرأة مخلصة فى (الاذية) ثم تعتزم ، وتتوكل على الله .

ان أتفه امرأة تستطيع ان تصيب من أعظم الرجال مقتلا اذا كانت لها عينان تحبان وتنظران وتتكلمان .

وعيون المرأة تحكم كل المتناقضات من الميول والاهواء، ولا تملك لحكمها نقضا ولا عصيانا

يحتسي السكير الخمر من عيون المرأة ! ويشرب المرور العلقم من عيون المرأة . ويتزود لنضال الحياة بعيون المرأة

ونحن نختلج ، ونجمد. ننشرح وننكمش . نسعى ونفر . نرى العالم فردوسا ثم نتلظى بناره جحيما مستعرا . كل ذلك من عيون المرأة ، وبعيون المرأة ، ولاجل عيون المرأة .!

ايها القارىء : لاشك انك جربت طرفا مما نقول وشاهدت بعضا مما نروي وماعليك الا ان تعود بالذاكرة الى الوراء . لتقص بدورك قصة عيون المرأة معك .

ولهـــذا كله لاعجب ان تكون عيون المراة موضع الغزل والتشبيب من جانب الرجل وله فيها ادب وفن فى القول والاحساس . حدث هذا منذ بدء الخليقة ، وسيظل الامر هكذا حتى تغمض الدنيا عينيها ، وماعيون الدنيا الا عيون المرأة .

وتقول الآنسة مى فى العيون مايأتى : تلك الأحداق القائمة فى الوجوه كتعاويذ من حلك، ولجين تلك المياه الجائلة بين الأشفار والاهداب ، كبحيرات ينطقن بالشواطىء واشجار الحور

العيون . الا تدهشك العيون ؟

العيون الرمادية بأحلامها . والعيون الزرقاء بتنوعها والعيون العسلية بحلاوتها . والعيون البنية بجاذبيتها . والعيون القاتمة بما يتناوبها من قوة وعذوبة

جميع العيون .

تلك التى تذكرك بصفاء السماء . وتلك التى يرقد فيها عمق اليموم وتلك التى تريك مفاوز الصحراء وسرابها . وتلك التى تعرج بخيالك فى ملكوت أثيرى كله بهاء . وتلك التى تمر فيها سحائب مبرقة مهضبة وتلك التى لا يتحول عنها بصرك الا ليبحث عن شامة فى الوجنة

العيون الضيقة المستديرة ، والعيون اللوزية المستطيلة . وتلك الغائرة فى محاجرها لشدة ماتتمعن وتتبصر . وتلك الرحيبة اللواحظ البطيئة الحركات . وتلك التى تطفو عليها الاجفان العليا فى هدوء ، كما ترفرف أسراب الطيور البيضاء على بحيرات الشمال . وتلك الأخرى ، ذات اللهيب الأحضر ، التى تلوى شعاعها كعقافة كلاب على القلب فتحتجنه .

وغيرها ، وعيرها ، وعيرها

العيون التى تشعر ؛ والعيون التى تفكر ؛ والعيون التى تتمتع ، والعيون التى تترنم

وتلك التى عسكرت فيها الاحقاد والحفائظ

وتلك التى غرزت فى شعابها الاسرار

جميع العيون ، وجميع أسرار العيون

تلك التى يظل فيها الوحى طلعة خباة ، وتلك التى تكاثفت عليها أغشية الخمول ، وتلك التى يتسع سوادها أمام من تحب وينكمش لدى من تكره ، وتلك التى تفتأ سائلة : من أنت ؟ . وكلما أجبتها زادت استفهاما .

وتلك التى تقرر بلحظة : « أنت عبدى » ا . وتلك التى تصرخ : « بى احتياج الى الألم » أليس بين الناس من يتقن تعذيبى » ؟!

وتلك التى تقول : « بى حاجة الى الاستبداد ، فأين ضحيتى ؟ »

وتلك التى تبسم وتتوسل . وتلك التى يشخص فيها انجذاب الصلاة وانخطاف المصلى

وتلك التى تظل مستطلعة خفاياك وهى تقول : « ألا تعرفنى » ؟ .

وتلك التى يتعاقب فى مياهها كل استخبار ، وكل انجذاب ، وكل نفى وكل اثبات

العيون ، جميع العيون ، ألا تدهشك العيون ؟

من أنت . مالون عينيك ، ومامعناهما والى أى نقطة بين المرئيات أو وراءها ترميان ؟

قم الى مرآتك وانظر الى طلسمك السحريين : هل درستهما قبل اليوم ؟

تفرس فى عمق أعماقهما : تتبين الذات العليمة التى ترصد حركات الانام ، وتساير دورة الافلاك والازمنة فى عمق أعماقهما ، ترى كل مشهد ، وكل وجه وكل شيء

لون الشعر

يقول علماء النفس ان للشعر تأثيرا خاصا على نفسية المرأة وطبيعتها فالمرأة ذات الشعر الذهبى تكون دافئة العواطف ذات روح مرحة ولكنها متغطرسة لأنها تعتقد انها أجمل فتاة فى العالم . وذات الشعر الاسود امرأة ذات طبيعة يجلب عليها الخيال . تميل إلى الوحدة وتحب أن تخلو الى نفسها مرهفة الاحساس تعتقد دائما انها بائسة وان حياتها فارغة فتبحث فيما حولها عن شاب أو رجل يملأ هذا الفراغ فى حياتها . ولكنها سرعان ماتكتشف أن الرجل الذى كونه خيالها لاوجود له فتملأ حياتها بالدموع .

والمرأة ذات الشعر الكستنائى امرأة معتدلة المزاج تعتقد فى الخرافات ، مترددة فى اختيار الرجل الذى سيقضى معها حياتها . ولذلك قد تفلت منها الفرص وتتزوج متأخرة وقد لاتتزوج . ثم هى مستمسكة بالتقاليد والعادات الموروثة .

أما المرأة ذات الشعر الأحمر فهى امرأة خطرة لا قلب لها مفتونة بنفسها ويقول المثل الايطالى المشهور :

« ليست هناك قديسة ذات شعر أحمر ! . »

أما الشعر الرمادى ، فانه يدل على شباب ولى وذهب ، وحيوية مضت ، ولن تعود . ويقول المثل اليونانى :

ـ ان الشعر الرمادى يوحى بالشيخوخة أكثر مما يوحى بالحكمة !.

شخصيتك من تصرفك (١)

أيها الرجل : أنت تدرك ذاتك بطبعك وتحاول بغريزتك أن تبررها من ناحية قوتها وتسيطر بها على من هم أقل مرتبة منك ؛ كما تخضع وتستسلم بغريزتك الأخرى لمن هم أقوى شخصية منك . وقد تحاول أن تجرب هذه الشخصية وتمتحن أسلحتها الواحد تلو الآخر ، فتنافس النظراء وتقاتل الأقوياء ، فان ظفرت نجحت وبرزت وان قهرت استكنت وانزويت والنتيجة مقرونة دائما بطريقة الهجوم ونوع السلاح

---

(١) مقال الدكتور محمد مظهر سعيد « الاثنين »

بل لعلك قد اخترت لك شخصية قوية فى نظرك ، مرهوبة الجانب عندك وعند غيرك ، ودرستها ، وتتبعت أحوالها ، وحاولت محاكاتها فى لبسها ومشيتها وحديثها وعاداتها ، وقد تفلح فى أن تكون صورة مصغرة على قدر جهودك ومجتمعك وقد ترتد إلى قواعدك غير سالم ، فلا أنت استفدت من طبعك ولا أنت نجحت فى تطبعك ، ذلك لأنك لا تملك السلاح نفسه وإنما الشخصية أمر معقد ، هى تأمين نفسى عقلى بدنى مركب يدخل بدن الانسان ومظهره وذكاءه وثقافته ووجدانه وعواطفه ، ومراحه وغدوه . والوراثة التى انحدر منها والبيئة التى نشأ فيها والمهنة التى يمتهنها والهويات التى يميل اليها وليس هناك شخص واحد يجتمع فيه كل النواحى قوية أو ضعيفة على وجه العموم وانما يتفاوت الناس فى حظ كل منهم من كل منها وعلى قدر نصيبهم من هذه العوامل وحسن استخدامهم لها تكون شخصياتهم فى المجتمع

فعليك أن تحلل نفسك من هذه النواحى ، فان وجدت ناحية قوية ممتازة ، فحاول أن تستغلها اجعلها سلاحك فى الحياة ومظهرك الذى تبدو به وابرزها فى مناسباتها حتى يتشبع الناس بها فلا ينظروا الى نواحيك الأخرى العادية أو الضعيفة . فان كنت من أبناء الطبيعة السعداء : ممتلىء الجسم فى غير ترهل مقبول الطول فى غير عوج جذاب الملامح دون تطرف حلو الطبع دون تكلف فقد كفتك الطبيعة نصف الجهاد

وقطعت بك نصف الطريق فتستطيع بأيسر جهود وبذكاء مقبول وثقافة عادية ، أن تكون محبوب الشخصية . وحتى ان حرمت نعمة العقل لا قدر الله وحسن التصرف لم يزور عنك الناس نافرين ساخطين بل انصرفوا مشفقين يقولون (ياخسارة الحلو ما يكملش) ولكن الشكل وحده لا يكفى فهى كالغابة لها جمالها الفطرى ولكنها فى حاجة الى ثوب قشيب تخلعه عليها يد الفنان الماهر فلا بد اذن من مظهر الثياب ولكل شىء مقام ماينا سبه من اناقة واحتشام : اناقة فى الشباب واحتشام فى الكهولة ، وأجملها وأقواها استهواء للنفوس الوسط المعقول بين البهرجة والبهدلة إلا اذا كان جل همك أن تكون (دون جوان) فى عالم « المودات » أو كوكبا لامعا فى سماء السينما المصرية . ولا بد كذلك من مظهر الحديث . فالرجل الهادىء المتزن الذى يتكلم على مهل ويتحدث فيما يعلمه ويحسنه حديث الواثق بنفسه المطمئن الى قوله ، المعتمد على اطلاعه وخبرته ، الواسع الصدر فى المناقشة فيأخذ ويعطى ويسمع أكثر مما ينطق ويدافع عن الحق دون مرارة أو غيظ ويعدل عن الرأى فى كرم وأريحية حين تبين له وجه الخطأ فيه ويحاول أن يفهم وجهة نظر مناظره قبل أن يستميت فى عرض وجهة نظره هو ويسلم طائعا فيما لاضرر من التسليم فيه - هذا الرجل يستطيع أن يفرض شخصيته على المجتمع ويشق طريقه فيه دون مشقة أو جهد

والابتسامة اللطيفة الطبيعية ، حتى فى وقت الجد من الاسلحة

الناجعة فى أسر القلوب مهما كانت مستعصية . بل انها من ضروريات النجاح فى المجتمع ، وبغيرها يكون موقف الرجل الرشيق الوجيه من سامعيه وجالسيه كموقف الوجيه الصامت الذى حضر مجلس الامام أبى حنيفة شهرا ثم فتح فمه مرة فنطق كفرا ، وسأله عن حكم الصلاة اذا طلعت الشمس قبل الفجر فمد فى وجهه رجليه بعد ان كان يضمهما !

وقد تكون عالما يكبر الناس من علمك قبل ان يعرفوك ويكبرون فيك شخصيتك دون ان يخالطوك فاذا بك تكفى الحرب تدلى بعلمك وتدلى برأيك فيما تخصصت فيه أكثر من الناس وفيما تعلمه أنت وسائر الناس فتتضاءل شخصيتك رويدا رويدا وتزول عنك هالة القداسة حتى ترتد فى نظر المجتمع شخصا عاديا يتساءلون عن أمره وكيف وصل الى هذه المرتبة فى العلم

وما أقوى شخصية العالم الصامت الذى يستمع لعلم الغير ويعطيه حقه من الاحترام ويستفيد كما يستفيدون منه ويترقب الفرصة حتى اذا اتجه الحديث نحو مادته وموضوع تخصصه برز وتحدث وأمسك بدقة الحديث يديره فى لباقة ويسر . والواقع أن كثيرا من الشخصيات الممتازة قد قامت على انقاض شخصيات اذ كان المجتمع لا يحتمل الا شخصية واحدة

ثم أقول لك : اجلس على مكتبك فى هدوء وتخيل مقابلتك لرئيسك

ومايدور من حديث وناقش الأمر ورتب اجابتك لتكون مسددة وابتسم وكرر الابتسام حتى يصبح طبيعيا نظيفا ثم تخيل انه احتد واشتد فماذا أنت فاعل ؟ أتغضب ؟ لا .

تذكر دائما الهـــدوء والقوة وحسن العرض والاستماع ودقة المعلومات. فهذه كلها أمور تستهوى الرؤساء وتفتح الابواب وتكشف مغاليق الامور . أما الشكوى فى ضعف وتخاذل ، فكلها أمور قاتلة للكرامة وموقف الكرامة يحمل على الاكرام

الايمان بالفكرة اساس النجاح

يسلم علماء النفس بأن فى الانسان قوة عقلية وبدنية كبيرة جدا يخفى عليه فى الغالب مقدارها خاصة حين تساوره التقاليد وتعرقله قيود المجتمع . ومن المسلم به انه اذا رغب الانسان فى شىء ما رغبة صادقة ملكت عليه فؤاده وشغلت شعاب ذهنه مضى فى تحقيق غايته فى قوة عجيبة ووفق فى حياته توفيقا كان يبدو غريبا او مستحيلا لغيره وحسبنا ان نذكر هنا انه قد حدث ان كان الدكتور « رين » من العلماء النفسيين خلال خمسة عشر عاما يقوم بتجاربه على « زهر » الطاولة وورق اللعب . وخرج من ذلك بأن فى الانسان شيئا آخر غير مكوناته المادية المعروفة شيئا لايرى بالعين ولا يلمس باليد ولكن افتراض وجوده

أمر لا بد منه

فالعلم لا يعترف بالانسان الا على أنه مجموعة من خلايا مرتبة ترتيبا خاصا ومؤلفة من مواد كيميائية محدودة تسيطر على نشاطها قوانين كيميائية وكهربائية لا مفر منها . حتى تفكيره يفسر بأنه ظاهرة فسيولوجية عادية . وكأن هذا شأنه لا يستطيع أن يفرض ارادته على غيره من الاجسام الجامدة . الا أنه قد ثبت للدكتور « رين » من تجاربه ثبوتا جازما أن هذا الكائن يستطيع أن يفرض ارادته متى شاء فقد كان المفروض أن تخضع نتائج القاء الزهر وسحب الورق لقوانين الاحتمال أو « الصدفة » المعروفة وألا تزيد كثيرا على نسبة معينة تحتمها هذه القوانين الرياضية . ولكن النتائج جاءت مخالفة للقوانين بل لقد ثبت أن النسبة تزيد مع الشخص الذى يلقى الزهر أو يسحب الورق وهو راغب فى الفوز مشتاق اليه وانها تقل اذا كان الشخص زاهدا فى النتيجة لا يبالى كيف تجىء . فشوقك الى الفوز وامتلاء ذهنك بهذا الشوق عند ما تلقى الزهر ، يساعدان كثيرا على تحقيق ما تريد حتى ولو كان فى ذلك مخالفة للقوانين الطبيعية الثابتة ، أى أن فى الانسان شيئا يستطيع أن يتمرد على دنيا المادة ويهزأ بقوانينها

ويقول الدكتور « رين » أن هذا الشوق وهذه الرغبة الصادقة وهذا الرجاء القوى أهم عامل فى دعاء الله . ومن ثم نصت الأديان على ضرورة الانصراف التام الى الله عند دعائه والتوجه اليه بقلب عامر

بالامل واثق من الاستجابة

التمسوا المشكلات ولا تخشوها

خلق الانسان ضعيفا ، إذا مسه الشر كان جزوعا ، ومن أجل هذا فهو يلتمس الهدوء والراحة . بل إنه حين يكد ويعمل ويجاهد ، يرمى إلى أن يؤدى ماعليه جملة وصفقة واحدة ، لكى يستريح مابقى من العمر . فهؤلاء الذين يجمعون الثروة ويكدون فى سبيل المجد ، إنما يريدون أن يحققوا خيرا كبيرا وعاجلا يعدهم للطمئنينة الثابتة

على أن من الوهم أن يفيد الانسان من هذه الراحة . فهى فى الواقع قضاء الانتحار والموت ؛ إذ يصير الانسان بها ، كسولا خاملا . بل قل إنه يصبح حيوانا ، همه من الحياة شبع وري

أعرف شخصا ، أوتى حظا غير قليل من المال والمنصب المحترم ، آثر العزوبة لتتجمع له ألوان الهدوء والراحة . فلم تسكن له أسرة وكان يعتمد على الخادمات والخدم فى النهوض بشئون المنزل وكان يكره البقاء فيه ويؤثر المقاهى . وعلى الايام ، انتابته وحشة وهجست فى نفسه الهواجس وأصبح شغله تلك الامراض يعالجها عند الاطباء متبادلين وبالادواء متتابعة . وهو كاسف البال خائف متجهم يكاد يخشى السير على الاقدام . أصبح أسير الهم والالم

وعندى أنه لو أتيح لهذا الرجل، أسرة أعنى زوجه، أو أسرة شقيق أو قريب بحيث تشغله همومها وأولادها وأمراضهم ومصيرهم؛ لزالت وحشته وأضاءت نفسه وفتحت الدنيا مغاليقها أمامه

وهكذا علينا أن نفتعل المشكلات ان لم تكن فاجلة وأن نتصيد المعميات إن لم تكن لنا صائدة، فنشغل أنفسنا بها وننشغل بها عن نفوسنا، فالفراغ شر من نواح كثيرة وملؤه خير من جوانب عديدة

ألا - أيها الناس - التمسوا المشكلات والاعباء والمتاعب عالجوها وواجهوها وداولوا بينها واعمدوا إلى الإقالة من الراحة فهى - لو علمتم - موت واقتصار وبلاء. بل هى شر من الموت فالموت هجعة طويلة دائمة. أما الحياة الخاملة فهى سلسلة آلام وهواجس وأوهام

العـــقل لايشيخ

يقول «ألبرت إدوارد ويجام» مؤلف «أمارات الرجل المثقف» و«ثمرة شجرة الاسرة»: هذا كشف جديد يعينك على أن تقبض على ناصية الحياة بيد أقوى وأن تزداد ثقة بنفسك على مر السنين، وهو كشف تم للدكتور إرفنج لورج الاستاذ فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا ومؤداه: إذا استثنينا الحوادث والامراض فان قدرتك العقلية لاتضعف بعلو سنك.

ومعنى هذا أن الاعمال العقلية الشاقة التى كنت تحسنها وأنت بين العشرين والخامسة والعشرين تستطيع أن تحسنها سواء وأنت بين الستين والسبعين أو بعد السبعين . وهذه أقوال تعد انقلابا فى شئون نمو العقل والتربية . فقد كان الرأى الغالب عند علماء النفس بعد تجارب عقلية أجروها على ملايين من البشر ان المرء من الناس يبلغ اوج قدرته العقلية بين السادسة عشرة والحادية والعشرين من عمره وان درجته فى الامتحان تظل كما هى بين الحادية والعشرين والسابعة والعشرين ، ثم تبدأ فى الهبوط بعد ذلك فتهبط واحدا فى المائة على المعدل كل سنة ، واذن فقد اسفرت هذه التجارب عن القول بأن العقل من حيث هو اداة التفكير يبلغ اقصى نموه فى العقد الثالث من العمر ثم يأخذ فى الانحطاط

وعلماء النفس الذين وضعوا التجارب التى قام عليها هذا الرأى ، فرضوا حين وضعوها ان المرء الذى يستطيع ان يجيب إجابة صحيحة عن معظم اسئلتها فى زمن معين هو اعظم الممتحنين قدرة عقلية ـ اى انهم فرضوا ان السرعة فى الاجابة هى مقياس خطير الشأن فى مسألة الذكاء . فلذلك عينوا لكل امتحان زمنا محدودا ينبغى ان يتم فيه

ولكن العالم النفسى الدكتور روبرت يركيز ، لاحظ أثناء امتحان ألوف من الجنود ، أنه إذا تاح لهم ضعف الزمن المعين للاجابة زاد عدد الذين يستطيعون أن يتموا الامتحان ، بمقدار ١٦ فى المئة

على الذين يستطيعون إتمامه فى الزمن الذى حدد له أولا . ولاحظ أيضاً فريق من علماء النفس أن زيادة فسحة الوقت المعينة للاجابة تعين الكبار على الإجابة عن عدد أكثر من الأسئلة . فاذا زيدت فسحة الوقت للصغار الذين يتقدمون للامتحان ، ظلت درجاتهم على حالها أو زادت شيئاً يسيراً . أما الأحداث إذا عجزوا عن الإجابة على الأسئلة فوراً ، فيغلب عليهم أن يعجزوا عن الإجابة عليها عجزاً مطلقاً .

فلما تبين أن الكبار ترتفع درجات إجابتهم إذا كانت فسحة الوقت المتاحة لهم أطول ، سأل الدكتور لورج نفسه : ألم يخلط علماء النفس بين سرعة التعلم والقدرة على التعلم ؟ قال : يبدو أن جميع التجارب الأولى تبين أن الكبار لا تعوزهم القدرة العقلية ، وإنما الذى يعوزهم هو السرعة العقلية ، وعلى الرغم من أن الكبار لا يسرعون فيما يعملون فانهم يصلون إلى الغاية كسواهم .

فلكى يتحقق الدكتور لورج من صدق هذا الرأى أجرى أحد عشر ضرباً من الامتحان على مئة وخمسين من العمال تتفاوت أعمارهم بين العشرين والسبعين . وقد ضرب لجميع الامتحانات ، ماعدا واحداً منها ، زمناً معيناً ينبغى أن تتم فيه . أما الامتحان الذى لم يضرب لإنجازه زمناً معيناً ، فهو امتحان « ثورندايك » للقدرة العقلية الخالصة فى هذا الامتحان يتاح لكل من يتقدم له كل الوقت الذى يريده .

فظهر أن معدل نجاح الكبار فى جميع الامتحانات التى ضرب لها زمن محدود كان معدلا قليلا ، ولكنه لم يكن كذلك فى امتحان القدرة العقلية الخالصة . فواضح أن تعيين موعد لإنجاز الامتحان كان يؤود الكبار .

ومن ثم عمد الدكتور اورج إلى حساب مبلغ التأثر بعامل السرعة فى كل عمر من الأعمار ، فاذا عرفه أضافه إلى الدرجات التى يحصلها الكبار فى الامتحان الذى ضرب له زمن محدود ، فيصل إلى درجة قدرتهم العقلية الصحيحة . ولنفرض أن درجة الذين فى الخامسة والثلاثين كانت أقل ٥ فى المئة من درجة الذين فى الخامسة والعشرين حين تتقدم الجماعتان لامتحان واحد ضرب لإنجازه زمن معين ، ولنفرض أن معدل الجماعتين واحد فى امتحان القدرة العقلية الخالصة فاذن ينبغى أن نضيف إلى درجة الجماعة الأولى ٥ فى المئة هى التى خسرتها لأنها لم تستطع أن تنجز الامتحان فى سرعة كافية ، فاذا أضيفت عرفت درجة قدرتهم العقلية الصحيحة . أو لنفرض أن جماعة من الشيوخ تساوت مع جماعة من الشباب فى الخامسة والعشرين ، فى امتحان القدرة العقلية الخالصة ، ولكن الشيوخ تخلفوا عن الشبان بنحو ١٥ فى المائة ، فى امتحان ضرب له موعد معين فتخلفهم لا يدل على ضعف عقلهم ، بل على عجزهم عن العمل الفكرى السريع . فالدرجة التى يحصلونها فى هذا الامتحان لا تدل على قدرتهم العقلية بل على

بطئهم وحسب ، فيضاف إليها ١٥ فى المئة لمعرفة قدرتهم العقلية الصحيحة .

قال الدكتور لورج : « وكذلك رجعت إلى الامتحانات التى أجراها سائر الباحثين ، ومنها ثلاث طوائف من الامتحان أجراها ثلاثة من العلماء على جماعات من الناس ، صغارهم وكبارهم على السواء ، ثم أضفت إلى الدرجات التى حصلوها ، النسبة التى ينبغى أن تضاف إلى فئات الكبار تعويضاً لهم عن بطئهم . فلما حسبت درجات الكبار بعد هذه الإضافة ، وجدت أن عقولهم لا تضعف قدرتها مع السن على الإطلاق ، بل وجدت مايدل على ازدياد قدرتهم العقلية مع السن ازدياداً يسيراً . أى أنه لما حذفت من الحساب عامل السرعة فى درجات الذين فى الخمسين والستين ، وجدت درجاتهم أعلى من درجات الذين فى الخامسة والعشرين او نحوها . وربما كان مرجع هذه الزيادة ، بعضها او اكثرها إلى وفاة الذين كانوا ابطأ او اضعف تفكيراً »

ونحن نعلم علم اليقين أن استجابة الكبار للحوافز ، أبطأ من استجابة الشباب فاما أن تكون حاسة البصر وحاسة السمع فيهم أضعف وإما أن تكون استجابتهم لحوافزهم أبطأ . بيد أن الدكتور لورج يقول : « ولكن القول بأن مجرد البطء فى القراءة أو تنسيق عمل العقل أو ضعف البصر أو السمع يؤثر فى قدرة عقل المرء هو قول لامسوغ له واذا فرقنا بين أعلى مستوى

من القدرة العقلية ، فى وسع المرء أن يبلغه ومجرد السرعة فى بلوغه وجدنا أن لادليل على انحطاط القدرة مع السن . واذا وصفنا أعلى نقطة يستطيع المرء أن يبلغها فى قدرته العقلية بعبارة « الارتفاع العقلى » فليس فيما عندنا من الحقائق مايدل على أنه يفقد القدرة على بلوغ ذلك « الارتفاع » مع علو السن أو حتى يدرك السبعين ، صحيح أنه قد يتسلق إلى قمة « ارتفاعه العقلى » تسلقا بطيئا ولكن اذا أفسح له الوقت اللازم استطاع أن يحمل الحمل الثقيل وأن يكون على ثقة من الوصول الى القمة فى آخر الشوط

ويؤيد رأى الدكتور لورج تلك البحوث الشهيرة التى أجراها الأستاذ إدوارد ثورندايك على « قـــدرة الكبار على أن يتعلموا » ، فقد خلص ثورندايك من تجاربه الواسعة النطاق إلى أن الكبار الذين ارتفعت بهم السن الى ٤٥ سنة على الاقل ، يجارون الشباب دون العشرين فى قدرتهم على أن يتعلموا أشياء لاعهد لهم بها واذا كانت القدرة على التعلم تضعف شيئا فشيئا فيما يبدو بعد الخامسة والعشرين فان الكبار يعوضون ما يفقدونه منها بما يكون لهم من اهتمام بالموضوع وادراك لنفعه المباشر . ولذلك ترى الانتاج الفكرى فى الذين بلغوا الخمسين أو الخامسة والخمسين أكبر من إنتاج الذين فى الخامسة والعشرين إذا تساوت درجة الذكاء فى الجماعتين وكان العمل واحدا

قال الدكتور لورج : « اذا نظرنا الى القدرة العقلية وجدنا أن لاحاجة بالمرء أن يبلغ سن اعتزال العمل . والمرجح أن نفع المرء يزداد مع ارتفاع سنه فهو يملك القدرة العقلية التى كانت له حين كان شابا ويضيف اليها ثمار تجربته وخبرته فى عمله الخاص . وهذه أشياء يعجز عن ادراكها الشبان مهما

بلغوا من الذكاء والتوقد . وهذا يبين لنا مالرأى الشيوخ من قيمة فى ميادين السياسة والاعمال على السواء

« واذا ماتقدمت بنا السن وجب علينا أن نحسب ونحن مطمئنون حسابا للعقبة التى تعترضنا وهى الزمن . بيد أنى أعتقد أن قوتنا العقلية لا يعتريها وهن ولا تصدها العقبات »

ثم ان هذه النتائج خليقة أن تكون معوانا لنا على أن نتجنب العثرات النفسية التى تترصدنا فى السبيل المفضية إلى ارتفاع السن . فالقول بأن التقدم فى السن يجلب فى أثره وهن القدرة العقلية ، وهم يؤثر فى الناس ، فاذا هم يترقبون أعراض هذا الوهن . فاذا ماشق عليهم أن يتذكروا اسما . أو أن يتخذوا قرارا فاصلا ، رأيتهم يقولون : « هذا برهان على أننى بدأت أشيخ » وهم ينسون أن هذه المشاق آذتهم فى شبابهم أيضا الا أنهم يلاحظونها الآن فى شيخوختهم على حين كانوا لا يلاحظونها فى صدر شبابهم ، فتراهم يستسلمون الى الظن بأن قدرة عقولهم قد أخذت تضعف . واذا ما استولى على المرء هذا الظن كف عن المحاولة ، على الرغم من أن الدليل قائم بين يديه على أن قدرته العقلية لاتزال كما كانت لو هو انتفع بها

وعندى أن خير مايشفى من هذا الداء النفسى فى الكبار هو معرفة النتائج التى خلص اليها لورج وثورندايك لأنه اذا كان فى طاقتنا أن نتعلم فى الكبر أشياء جديدة كالتى كان فى طاقتنا أن نتعلمها فى أيام الشباب واذا كانت قدرتنا العقلية بوجه عام لم تضعف فنحن اذن نظل مزودين الى نهاية الحياة بما لابد منها لإدراك السعادة والنجاح فى هذه الحياة الدنيا

السعادة

يسأل الناس هذا السؤال : هل أنت سعيد ؟ ان السعادة أو الغم دليل على مقدار نجاحك أو خيبتك فى تكييف حياتك ، فاذا كنت تحيا حياة طيبة فان السعادة تأتيك عرضا ، أما اذا أخفقت فى حياتك فلا مفر لك من الغم .

إن السعادة هى مقياس الصحة النفسية ، كما أن درجة الحرارة هى مقياس الصحة البدنية . وكما أن الحمى دليل على أن الجسم يحارب مرضاً ما ، كذلك الغم دليل على أن نفسك تعانى كرباً ما . وكلاهما فأل حسن ، لأنه يدل على بقية من حياة ، ومن ثم على أمل فى الشفاء .

إن الطبيب البارع يستطيع أن يستشف ما تدل عليه الحمى من مرض فاذا عولج المرض زالت الحمى كما جاءت : أمراً عرضيا . وكذلك أنت تستطيع أن تبحث عن علة غمك فتستأصلها .

ألديك فكرة واضحة عن الحياة ؟ من العسير أن نجيب إجابة صادقة عن مثل هذا السؤال . بل ان أكثرنا لينظر الى المستقبل البعيد وماهو فى واقع الامر الا هارب من الحاضر الكئيب ان آراءنا فى الاصلاح الاجتماعى اكثرها محاولات لاصلاح حال انفسنا حتى ولو كان ذلك على حساب الآخرين . اعرف رجلا كانت له آراء متطرفة فى توزيع الثروة فما هو الا ان تزوج من ابنة احد الاغنياء وتحسنت احواله المالية فسرعان

ما تغيرت آراؤه ! قد تتهمه بفساد النظر ، ولكن ما أكثر المتناقضات التي تنطوي عليها نفس كل إنسان

ان ضيق النظر مضرة . وهو إما دليل على خبرة ناقصة بالحياة يجدر بك أن تكملها ، أو وليد التحيز والتعصب الذي لا مسوغ له ؛ فما عليك الا أن توجه عواطفك وأفكارك وجهة صالحة

هل تحسن استخدام قواك ؟ هل تمر بك فترات تحس فيها بخمود قواك وعجزك عن أي عمل ؟ اذا كان الأمر كذلك فلا تيئس فان قدرتك لا تلبث أن ترتد اليك كاملة متى زالت الأسباب . ولكن الخوف كل الخوف من أن تتطاول هذه العوارض المؤقتة حتى تصبح اختلالا مزمنا . وفرق كبير بين أن ينسكب الحساء منك على المائدة نتيجة هم عارض وبين الاضطراب المزمن الذي يسببه لك خوف ملح أو شعور عميق بالاثم

أربت على كتف رجل مطمئن النفس ، يتجه اليك متزنا . أما لو كان مذنبا فانه لن يتمالك أن يقفز كأنما دفعه لولب

هل في حياتك ما يثيرك ؟ هل تصعد للعقبات ؟ أم أنت ذلك النوع من الناس الذي يتباطأ ويتلكأ في انتظار حظ سعيد يهبط عليه من السماء على صحاف من الفضة ؟ ان الخوف يجثم دائما وراء كل مرض نفسي

والخائف يعجز عن حل مشكلاته أو يحلها حلا سريعا مرتجلا . وكلما تراءى له سوء تصرفه زاد خوفه وزادت مشكلاته تعقيدا

ان الركود والموت هما مآل كل من يتوانى في التقاط القفاز !

عليك أن تلتقط للقفاز تزدد ثقتك وحيويتك :

هل لك هدف محدد فى الحياة ؟ ان تحديد هدف للحياة أمر لابد منه . ولكن اذا كنت شابا يحسن بك أن تجعل هدفك مرنا قابلا للتغيير ، فقد تتاح لك فرص جديدة أو تمر بك حوادث غير متوقعة تجبرك على تغيير هدفك أو تحويره

ويجدر بك كذلك ألا تتأخر كثيرا فى اختيار خطتك للمستقبل . ان ماضيا مظلما حافلا بالخيبة لا ينبغى أن يصرفك عن التفكير فى مستقبل أسعد حظا . كما ينبغى ألا يفتنك التأمل فى ماض سعيد ناجح عن التأهب لمستقبل لا تعلم من أمره شيئا ما .

هل تستطيع أن تسخر نياتك لمصلحتك ؟ ان الطريق إلى الجنة مرصوف بالنيات الطيبة . ولا يكفى أن تنوى الخير لنفسك ، بل ينبغى أن يكون فى ما انتويته خير للناس أيضا . حاول أن تخدم نفسك وتخدم الغير فى وقت واحد . واحذر الأنانية وقلة المبالاة بالمجموع . ان الخداع الأكبر هو خداع العواطف وكم من مظهر ناعم وسلوك نبيل يخفى من تحته مقاصد غاية فى الضعة والدناءة

ان اكثر الناس يتخذون لأنفسهم قواعد يسيرون عليها لكى يصلوا الى أهدافهم فلماذا لا يصل أكثرهم ؟ سبب ذلك هو تداخل هذه القواعد وتضاربها . فيجدر بك أن تراجع قواعدك من وقت لآخر وتهذبها حتى يتحقق بينها الانسجام والتوافق

هل ترتاح الى صحبة الآخرين ؟ هل تحب الناس ؟ بل هل هم يحبونك ؟

وهل يسعدون برفقتك وينعمون بما تقول وتفعل ؟ ان كنت لاتطمئن اليهم فلا تلومن الا نفسك فان هذا سلوك الشواذ

ان كثيرا من المفارقات الغريبة والحوادث المضحكة مبعثها رغبة البعض فى استرعاء نظر الآخرين ، كما يصرخ الطفل لينبه أمه الغافلة فاحذر أعمال الأطفال !

هل تقوى على مواجهة نفسك بنظرة صريحة سافرة ؟ ثم اذا كنت قد تأملتها ، فما رأيك فيها ؟ هل أعجبتك ؟ لعل نظرتك لم تنفذ الى كرامتها أم تراها لم ترقك ؟ فلعلك اذن مفرط فى الاقلال من شأنها ، كما لو كنت تعاقبها الذنب جنته ، أو كما لو كنت تستدر على حسابها ، عطف الآخرين

إن دراسة الخريطة أمر لا بد منه قبل الشروع فى الرحلة وكذلك عليك ان تدرس نفسك وتتعرف الى معالمها قبل أن تشرع فى رحلة الحياة الطويلة . يجب ان تعرف مزايا نفسك ومثالبها وأن تنف حياتك على الانتفاع بهذه واصلاح تلك . ان دراسة علم النفس لاتفيدك كثيرا فى حل مغاليق شخصيتك . انها تمدك بالأدوات اللازمة ولا بد لاستغلال هذه من مقدار كبير من الادراك السليم والتعقل الهادىء المتزن . ولعلك واجد فى المبادىء التى نسوقها اليك الآن بعض الفائدة : -

(١) ابدأ فى علاج مشكلاتك بأهمها : فان الاهتمام بالتوافه والشكليات نذير الاختلال العقلى إن الشخص المختل قد يضيع يوما باكمله صاخبا لاعنا فى البحث عن قلم نسى أين تركه . فاذكر جيدا أن كثيرا مما نسميه « مشكلات » ان هو فى واقع الأمر الا توافه الأمور . فدعها وشأنها تحل نفسها

بنفسها ، واصرف همتك الى أكابر الأمور .

(٢) تخير جيدا متى تنتظر ومتى تعمل : كن وسطا بين المغامر والكسول والبس لكل حال لبوسها . لاتخلق لنفسك المتاعب خلقا ، كما لاتدع الفرصة تفلت منك متى سنحت .

(٣) انتفع بخيبتك : ان أثر النجاح فى تكوين الشخصية أمر لاجدال فيه . الا أن بعض الاخفاق شر لابد منه لتكوين الشخصية القوية . وخير لنا أن نواجه الاخفاق فى مستهل حياتنا من أن نمنى به فى أخرياتها ، فربما كان عندئذ قاضيا .

أحب من الناس المتطرفين

قال الأديب جبران خليل جبران تحت هذا العنوان فى مجلة الهلال :

أحب من الناس المتطرفين

أحب القادرين على الهبوط الى لجج الحياة والصعود الى أعاليها

أحب الذين يميلون بكليتهم الى وحدانية الامور فلا يقفون مترددين بين نقيضين

أحب النفوس الطامحة بمرام قوى ثابت ، وأهوى الأرواح البسيطة التى لاتقبل طبيعتها التركيب ، ولايدخل على جوهرها الانقسام

أحب المتطرفين المتحمسين الملتهبين بشعلة نزعتهم المضطربين بوجدان قلوبهم المستسلمين الى عواطفهم المنصرفين عن معترك المبادىء الى مبدأ

خاص المتحولين عن اختلاط الافكار الى فكرة أولية مجردة ترتفع بهم الى ماوراء الغيوم وتحدر بهم الى أعماق البحار

قد خبرت المعتدلين ووزنت مقاصـــدهم بالموازين وقست مآتيهم بالمقاييس فوجدتهم جبناء يخافون الحق ملكا والباطل شيطانا فيحتمون بأواسط العقائد والقواعد التي لاتنفع ولاتضر ويتبعون السبل الهينة التي تقودهم الى صحراء مقفرة خالية من الرشاد والضلال بعيدة عن السعادة والشقاء

انما الحياة صيف يترنم بحر أشواقه وشتاء يتباهى بعزم عواصفه . فمن يعتدل بتكييف حياته وتبويبها ليجعلها في مأمن من نشوة الصيف وهول الشتاء كانت أيامه بلا عز ولاجمال ولياليه بلا سحر ولا أحلام . وكان هو نفسه أقرب الى الاموات من الاحياء بل كان من المحتضرين الذين لا يقضون ليرتاحوا في أحشاء الارض ولا يعيشون ليسيروا في نور الشمس

ان من يعتدل في دينه يقف حائرا بين خوفه من العقاب ورغبته في الثواب فاذا ماشى في موكب المؤمنين توكأ على عكازة واذا ماركع مصليا انتصبت فكرته ضاحكة منه

ومن يعتدل في دنياه يبق حيث ولدته أمه فلا يتراجع الى الوراء ليعلم الناس أمثولة بتقهقره ولا يخطو الى الامام ليرشدهم الى محجة أو مأثرة بل يظل جامدا حائرا محدقا في ظله مصغيا لطرقات قلبه قابضا على أنفاسه

ومن يعتدل في حبه لايشرب من كاسات الحب حلوا مبردا ولامرا حاميا بل يبلل شفتيه بعصير مذق فاتر ، تستقطره البلاهة من مستنقعات

الضعف والارتياع

ومن يعتدل فى مناصبة الشر ومناصرة الخير لايصرع شرا ، ولا ينجد خيرا . يكتفى بأن يصون ماسال من عواطفه بما جمدمنها فيصرف عمره على شاطىء الميول وهو كالحجار حجرى الظاهر مخاطى الطوية ، لايدرى متى ينتهى مد الحياة أو متى يبتدىء جزرها

ومن يعتدل فى السعى وراء الحرية ، لا ، ولن يرى سوى آثار قدميها بين التلول والمنحدرات فالحيوية كالحياة لاتبطىء ليلحق بها العرج والمقعدون

قد سمعت المعتدلين العاجزين يقولون : « القناعة كنز لايفنى » فقتلتهم روحى وانصرفت عنهم قائلة : « كيف يتحول القرود الى بشر والأقزام الى جبابرة وهم قانعون بضعفهم وتفاهتهم

أحب من الناس المتطرفين

أحب ذاك الذى صلبه المعتدلون ، ولما لوى عنقه وأغمض عينيه ، قال بعضهم لبعض : « لقد تخلصنا من المتطرف المقلق » . ولم يدروا أن روحه كانت فى تلك الساعة تسير متغلبة على الأمم وعلى الأجيال

أحب الشهداء المشغوفين ، المستميتين ، المسترخصين كل شىء الا الغاية القصوى ، المستصغرين كل أمر الا الغرض الأسمى

أحب الذين أحب الذين أحرقوا ، ورجموا وشنقوا وقضوا بحد السيف من أجل فكرة امتلكت عقولهم أو عاطفة أشعلت قلوبهم

أحب من الناس المتطرفين . فما رفعت كأسى الى شفتى الا لاذوق طعم دمائهم ودموعهم . وما نظرت من نافذتى الى الفضاء الا لارى وجوههم .

وما أصغيت للعاصفة الا لاسمع أهازيجهم وتهاليلهم

كيف يعيش المرء هنيئا

قالت السيدة عودة فاسيليفيا : « لقد استقبل ظهوري في هذا العالم بالدموع وكل منا يعلم كيف تستقبل ولادة البنت عندنا نحن العرب وخاصة اذا كانت هذه التعسة خامسة أخواتها وفي عائلة لم يرزقها الله صبيا . وهذه الكراهة رافقتني منذ صغري فلم أذكر أن والدي عطفا يوما علي . وزاد في كراهة والدتي لي زعمها أني قبيحة الصورة ، فنشأت قليلة الكلام كتوماً أتجنب الناس ولا هم لي سوى التعلم

فهل كنت سعيدة في حياتي ؟ نعم اني وجدت في نفسي خصلتين هما من أهم العوامل في هناء عيشي : الاقدام على العمل مع الثبات فيه ، والمحبة ، محبة كل شيء : الناس والطبيعة والعمل وكل شيء يلامسني . هذه الخصلة الثانية هي التي تساعدني دائما في أحرج مواقف حياتي

ان تذليل العقبات لبلوغ المراد هو من أكبر عوامل السعادة . فاذا اقترنت بسعادة من يحيط بنا أيضا فهناك هناء العيش حقا . أمضيت خمس سنوات بين تلك البنات اللواتي كنت أعلمهن وقد أحببتهن حبا ساعدني على أن أعيش مع كل واحدة منهن بعيشتها الصغيرة وأن أساعدهن على قدر طاقتي وقد قابلني بالمثل فكنت دائما أرى وجوها باسمة

وفي وقت فراغي كنت أزور أطراف المدينة حيث يعيش الفلاحون

واتفقد أطفالهم الصغار المهملين وقت الحصاد وكان قلبي يتقطع ألما حين أرى تلك العيون الملتهبة بالرمد فأغسلها بمحلول حامض البوريك وبعد تنظيفها انقط محلول الزنك عليها . اظن ان بعض الاطباء الذين لم يجعلهم الزمن آلة بل ظلوا بشرا يدركون تلك السعادة التي كنت اشعر بها حين كنت أرى بعد ايام تلك العيون سليمة صافية وتلك الايدي الصغيرة تطوق عنقي

والامر الثاني هو حسباني كل عمل شريف فلست أخجل من أي عمل كان مادام غير ماس بشرفي ولا بشرف غيري . اشتدت الازمة المالية وقت الحرب الاهلية في روسيا فصرنا نشتغل بلا أجر . نعم ان الفلاحين كثيرا ما كانوا يكافئوننا ولكني لاأظن شيئا أثقل من هذه المكافأة

وحدث أن توفي زوجي فاخذت أربعة أفدنة لازرعها وكان الفلاحون يساعدونني على زرعها . نعم اني كنت سعيدة بهذه المناظر وأظن أني كنت أسعد لشعوري باني قادرة على كل عمل . ولما كنت أمشي وراء الحصاد وأضم لفائف القمح كنت لاأشعر بالتعب مع أني لم اعتد هذا العمل . ولا تسأل عن ضحك الفلاحين حين كنت أجلس للراحة او للأكل معهم كواحدة منهم . ان كل مظلوم يحن الى مثله وانا وجدت القرويات مظلومات في البشرية مثل نساء العرب وانا احداهن فاخذت بيدهن وكنت اشتغل بينهن بكل محبة ورغبة . فلم تكن عندي اوقات ضائعة للملل او الضجر

لما مات زوجي قالت احدى المعلمات الساثرات في الجنازة . ومااتعس هذه المرأة ! لم يبق لها سوى ان تحمل الكشكول وتطرق الابواب . فهي غريبة ولامساعد لها ولامعين وصغر بناتها يمنعها من العمل » . ولكن لم

بعض نصف سنة حتى قالت لى تلك المعلمة : سعيدة أنت ما أهنأك ! فضحكت! وقلت لها : عندنا يقولون : « حتى على الموت لا أخلو من الحسد » . وكنت إذ ذاك سعيدة حقا لانى كنت محسودة ولست بالحاسدة

لا أذكر من قال من الروسيين : ينبوع الحياة فى داخلنا . فيالها من حكمة بالغة . نعم ان ينبوع الحياة فينا فاذا قدرنا ان نروى جميع مظاهر حياتنا به صارت حياتنا وردة زاهرة

تعلمت أن أجد الجمال فى كل ما يحيط بى طبيعيا كان أو من صنع أيدى البشر . فجمال الطبيعة كان دائما يسكن اضطراب نفسى لانه رمز الخلود ، وأما صنع البشر فكان جماله يجدد قواى ويكسبنى اعجابا بعقل الانسان فانجذب على العمل كالنملة . فانا ولا مبالغة كنت فى جميع أطوار حياتى سعيدة اشتغل راغبة لا ملزمة ولا أجد الراحة الا عند تذليل المصاعب ناعمة بحريتى الشخصية التى هى من أعظم أسباب سعادتى .

كيف تصبح مليونيرا

قال سعادة أحمد عبود باشا فى مجلة الهلال : « ليس النجاح سرا من الأسرار ولكنه أولا وقبل كل شىء توفيق من عند الله ، فقد تجتمع فى شخص كل مؤهلات النجاح من شهادات دراسية عالية الى جاه عريض الى شخصية قوية . ولكن سوء الطالع يلازم هذا الشخص فلا ينجح فى أى عمل يقوم به بينما ينجح فى نفسه العمل من هو أقل منه فى الكفاءة والجاه وأضعف منه شخصية .

والنجاح فى نظرى يتوقف - بعد توفيق الله - على الاستعداد الشخصى والاتعاظ باخفاق الآخرين . والشعور بالقدرة على القيام بالعمل على وجه الكمال . فاذا اقتنعت بذلك واعتزمت الاقدام . فلا تتراجع ولا تفكر فى الاخفاق وضع نصب عينيك دائما أن لكل مجتهد نصيبه من الحظ . واتبع ما يأتى :

١ - لا تأنف من القيام بأى عمل شريف مهما كان تافها . وانهض بهذا العمل واجعل منه عملا عظيما يليق بك ، ولا تنتظر الربح السريع ، فالربح البطىء دليل النجاح . ولا تستسهل عملا لان السهل ينافسك فيه كل الناس

٢ - اعط عملك كل وقتك وتفرغ له وباشر فيه كل كبيرة وصغيرة ليشعر معاونوك بيقظتك فيضاعفوا من نشاطهم ولا يتهاونوا فى تأدية واجباتهم . واعلم أنك اذا أهملت أهملوا واذا تساهلت تهاونوا

٣ - أرى كثيرين من أصحاب الاعمال نجحوا ثم اخفقوا . والسبب هو أنهم أقبلوا على العمل فى نشاط فى بادىء الأمر ، فلما شعروا ببوادر النجاح انصرفوا الى حياة الترف والكسل وتركوا لمعاونيهم العمل يديرونه . ومثل هذا العمل لا ينجح

٤ - لا تفرح للربح فقد تعقبه خسارة ولا تيأس اذا خسرت ، بل عدها امتحانا لكفاءتك

٥ - اقتصد دائما ، فما تستغنى عنه اليوم تحتاج اليه غدا وانى أنمى روح الاقتصاد فى كريمتى وأشجعها على الادخار بأن أعطيها دائما ما يعادل ماتدخره وروح الادخار معدومة عندنا والربح يغرينا بالاسراف فقد

كافأت كل عامل من عمال شركة البواخر الخديوية بمرتب شهر وسألت بعضهم عن الوجوه التى سينفقون فيها المكافأة فقال البعض : انه سينفقه فى الاجازة بينما قال البعض الآخر : انه سيشترى ملابس حريرية . ولم أجد بينهم من يقول : انه سيدخره للظروف

٦ ـ تفقد أحوال معاونيك وعمالك الخاصة ، وأشعرهم انهم شركاء لك فى العمل ، وكافىء المجد منهم فى سخاء ، واشتد مع المهمل ، فهذا يضاعف الانتاج

٧ ـ دع الناس يثقون بكلمتك الشفهية واجعل لها قوة الوعد المكتوب وكن حريصا مع الناس

٨ ـ أشعر كل من تتصل بهم أنك تعتز بصداقتهم وتعمل بمشورتهم فقد تجد بين آرائهم رأيا صائبا يعود على عملك بالنجاح

٩ ـ ابتكر فى عملك وجدد فيه

١٠ ـ الحياة البيتية المنتظمة والهناء العائلى من أكبر أسباب النجاح

الرغبة فى العمر الطويل

قال الأستاذ المازنى « أود لو كان الامر رهنا برغبتى أو ارادتى لا أخرج من هذه الدنيا ولو شنقونى ! ولكن المصيبة انه لا رأى لنا فى هذا .

وأعود فأذكر أنى نظمت قديما قصيدة كل ما اتذكره منها هو هذا البيت الاخير :

ألا ليتنى فى الأرض آخر أهلها فأشهد هذا النحب يقضيه عالم

(بفتح اللام)

ولا بأس من التسلية ، فأقول انى كنت فى الحرب العالمية الاولى أحاول أن أتعلم اللغة الألمانية بغير معلم من كتب موضوعة لذلك على طريقة من يدعى « هوجو » ، وهو غير الأديب الفرنسى المعروف وفى أحد كتب المطالعة وجدت هذين البيتين ، فترجمتها بأمانة (والمفروض أنهما مكتوبان على قبر ميت) :

أيها الزائر قبرى أتل ما خط أمامك

ههنا - فاعلم - عظامى ليتها كانت عظامك

ولم يقل هذا الألمانى الا حقا وان كان « حقا » ثقيلا ، فان كل انسان يتمنى أن يطول به العمر الى آخر الدهر ، على شرط أن لا يكون له آخر ، ولان يموت أحباؤه أهون عليه من أن يموت هو مهما زعم الانسان نقيض ذلك

وكنت مرة — قبل الحرب العالمية الاولى — فى مشرب بيرة ألمانى مع صديق ، فجرى بيننا كلام فى الحياة والموت ، فتساءلت . « ألا يمكن أن يكون عمر الانسان رهنا — الى حد ما على الأقل — بمبلغ إرادة الانسان للحياة ؟ »

فصاح صديقى فى وجهى . « هذا كفر »

قلت . « كلا ! وانى لأدرى أن الأعمار بيد الله ، وان لكل أجل كتابا ولكننا نجهل ما فى الكتاب ونعلم أن لكل شىء سببا ولا شك أن من أسباب

الموت ضعف ارادة الحياة ، ومن المحقق أن قوة المقاومة - أو قوة ارادة الحياة - أحد العوامل التى تساعد على التغلب على بعض الأمراض »

واتفق بعد ذلك أن قرأت أقصوصة فى مجلة انجليزية - غابت عنى أسماؤهما لقدم العهد - وكل ما أتذكره - لعمق أثره فى نفسى - الكاتب يصف أن رجلا فى صحراء آلى أن يعيش ألف سنة وبلغ من قوة ارادة الحياة فى نفسه أن عاش هذا الزمن المديد كله . والقصة خيالية ولكنها تقوم على حقيقة ، هى أثر الارادة فى النفس فبالارادة تستطيع أن تبرىء نفسك من علل كثيرة يجدى فيها العلاج النفسانى ، فتمنع تقصيرها للعمر - بعون الله طبعا - وبالارادة تستطيع أن تجرى على نظام معتدل يحميك ويقيك ويفيدك الصحة - على قدر ما يتيسر ذلك وبالارادة يسعك أن تعطى كل شىء فى الحياة حقه ولا تعدو به مكانه ، فلا تسرف على نفسك ولا تهول عليها ولا تجعل لحوادث الحياة أثر افوق قيمتها الحقيقية ، فليس أضر بالبدن من الاسراف عليه ماديا ومعنويا

وليست مائة عام بالعمر الطويل فان شطرا كبيرا منها يضيع فى حداثة غافلة وشباب طياش متعثر ولا يتسنى للانسان أن يبدأ الانتفاع بحياته الا بعد أن يرشد وليس للرشد سن معينة وليس ما أعنى هو الرشد القانونى ، فان هذا شىء آخر وانما أعنى الرشد الصحيح ، أى صحة الادراك والاتزان ونضج العقل والنفس . والناس فى هذا يتفاوتون تفاوتا شديدا ، فمنهم من يرشد وهو فتى فى ريعان الشباب ومنهم من لا يرشد أبدا ومنهم من لا يكاد ينضج حتى تراه قد ارتد فجأة الى مثل حال الطفولة

وأستطيع أن أقول ان النضج يبدأ بعد الخمسين وهذا النضج عملية

مستمرة لا نهاية لها فى الحقيقة ، يساعد عليها توالى التجارب وقدرة المرء على حسن الانتفاع بها والاطلاع والتحصيل - ولا نعلم متى يمكن أن ينتهى هذا - وأعمال الذهن ومواصلة النظر والتأمل الى آخر ذلك

ومؤدى هذا بايجاز هو أن المرء حين يبلغ المائة ، يكون قد بدأ يتبلور وبدأت شخصيته تكون ذات طابع خاص تتميز به

فالمائة تعد - لهذا - بداية للحياة ولا يجوز أن تعد نهاية معقولة لها . والمائة الأولى من العمر تشبه فى رأيى مدة الرضاع أى قبل أن يستغنى الطفل عن ثدى أمه ويقف على رجليه هو غير معتمد على اسناد ، أو متكىء على ذراع الام أو الكرسى ، ثم تجىء المائة الثانية وهى تماثل فترة الطفولة وتكون المائة الثالثة هى فترة الشباب وقد تمتد الى الرابعة ، فالذى لا يعيش الا ثلاثمائة أو أربعمائة ، يكون فى رأيى قد عوجل قبل الأوان ويصح أن يرثى بمثل ما رثى ابن الرومى طفله وفى هذه القصيدة يقول .

توخى حمام الموت أوسط صبيتى ... فلله كيف اختار واسطة العقل
على حين شمت الخير من لحاته ... وآنست من أفعاله سمة الرشد

وانى لاتخيل حال الدنيا اذا طالت أعمار الناس فيها فبلغت المئات ، فأقول ان هذا خير ما تصلح به أمورها

وبديهى أن لا تكون لى رغبة فى الموت . وماذا أرجو أو أنتظر منه فيما عدا رحمة الله ؟ ولكن رحمة تتداركنا فى الدنيا وانا راض بها ، وحامد شاكر لربى عليها ومستزيده تعالى منها

وما أحسبنى قلت الا ما تقوله كل نفس فى سريرتها .